

الأمكنة الأعلام في الشعر العباسي بين الشعري والحماسي من خلال نماذج عمورية- الحدث- صقلية

*The realistic places in the Abbasid poetry between the poetic and the
enthusiastic Through models*

AMOURIYYA-AL-HADATH-SICILLY

عمارة الجداري*

جامعة المنستير/تونس

amarajeddari@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023/04/27 تاريخ القبول: 2023/06/21 تاريخ النشر: 2024/07/05

ملخص:

كثيرا ما اختلفت الدراسات النقدية في مقارنة الأمكنة وأبعادها في الشعر العربي القديم لتتنوعها وتعدّد مظاهر تشكّلها. بل كثيرا ما تُشحن القصائد بأمكنة لها إحالاتها الواقعية. فيتداخل الموقع مع وقائع وأحداث. لكنّ طرافة تظلّ تحفّ بعض الأمكنة حين ترتبط بالبعد الحماسي فيتشكّل المكان المتحقّق واقعيّا تشكّلا مختلفا يكتسب صفات جديدة ويُجبل على محمولات تخيلية تسهم في التحفيز والتوثّب للقتال. ولعلّ أكثر الأمكنة تداولاً ووقفا عمورية في شعر أبي تمام والحدث في شعر أبي الطيّب المتنبي وصقلية في شعر ابن هانئ الأندلسي. وارتبطت هذه الأمكنة في هذه الأشعار بأجواء الحروب والصراع فحقّق فضلا عن بعدها التخيلي أبعادا حماسية متنوّعة.

الكلمات المفتاحية:

الأمكنة الأعلام، الشعري، الحماسي.

Abstract

Critical studies differed in approaching places and their dimensions in ancient Arabic poetry due to their diversity and the multiplicity of their formation aspects. Rather, the poems are often charged with places that have their realistic references. The site

overlaps with facts and events. However, the novelty of some places remains when they are linked to the enthusiastic dimension, so the realistically achieved place takes on a different shape that acquires new characteristics and is imbued with imaginative predicates that contribute to motivation and jumping to fight.

Perhaps the most frequently discussed and located places are AMURIYYA in the poetry of Abu Tammam, ALHADATH in the poetry of Abi al-Tayyib al-Mutanabbi, and SICILY in the poetry of Ibn Hani al-Andalusi. These places were associated in these poems with the atmosphere of wars and conflict, and in addition to its imaginative dimension, it achieved various enthusiastic dimensions.

KeyWords:

Realistic places, Poetry, enthusiasm

مقدمة:

قصدا بالأمكنة الأعلام الأمكنة التي تلقى نظيرا مرجعيا في الواقع وتحفل بها المعاجم الجغرافية واللغوية تحديدا واضح الدلالة والتعيين في وجود تاريخي ثابت. وتتواتر هذه الأمكنة في الشعر العربي والمدحي بصفة خاصة تواترا كبيرا. فقلما تجد مدحية مرتبطة بوقائع حربية خالية من الإحالة إلى أمكنة أعلام لها وجودها التاريخي وتحديدها الجغرافي.

والشعر الحربي الذي يقوم أساسا على غرض مدحي يقوم على التذكير بالوقائع فيتلون بالحماسي ليناسب أجواء الحرب والصدام. والحماسة التي تتحقق بالوصف والتصوير قد تستند إلى أمكنة واقعية تحقق وظيفتها في الاستنفار والتحفيز.

ولما كان الشعر في العصر العباسي مرتبطا بدوافع تاريخية تحقها حال من الانهيار الذي بدأ يتسرب إلى قصبة الدولة العباسية ووجد الشعراء في بعض الرموز السياسية ملاذا لتقديم المثال في الذود عن الحرمات الدينية والقيمية والعصبية. ولعل أبرز الشعراء في هذا الباب أبو تمام¹ وأبو الطيب المتنبي² وابن هاني الأندلسي³. وارتبطت

¹ - أبو تمام: حبيب بن أوس بن الحرث الطائي، عاش بين (188هـ/803م و231هـ/845م)، ولد بمدينة جاسم من قرى حوران بسورية، رحل إلى مصر، واستقدمه الخليفة العباسي المعتصم إلى بغداد فأجازته وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق ثم ولي بريد الموصل فلم يتم سنتين حتى توفي بها.

مدحيّاتهم باستدعاء أمكنة أعلام ترتبط بوقائع حربيّة ومن هذه الأمكنة عموريّة⁴ والحدث⁵ وصقلية⁶. لكن هذه الأمكنة رغم التحديد الجغرافيّ الذي عجّت به المعاجم تحديداً وتدقيقاً، ورغم الوقائع الحربيّة التي ارتبطت بها في المناسبة القوليّة للقصيد فإنّها تنتزّل في النصّ الشعريّ بوظائف أخرى تتأى بها عن الواقعيّ التاريخيّ لتحقيق أبعادا شعريّة بما يلقّها من مجازات وتشابيه واستعارات ولترمي إلى تأسيس الحماسة باستنفار القيم والحميّة الدينيّة والقوميّة.

فكان للأمكنة الأعلام صيغ شعريّة وأبعاد حماسيّة تغني النصّ الشعريّ المدحيّ.

1- الشعر الحماسي وحضور الأمكنة:

يستدعي النصّ الشعريّ القديم أمكنة واقعيّة متعيّنة مسبقاً في الواقع الكائن. والأمكنة يجري تناولها باستدعاء مناهج متعدّدة إنشائيّة وسيميائيّة وجرّت على دلالات متنوّعة تقف على علاقة المعنى الشعريّ بالمكان الواقعيّ وما انطوت عليه عمليّة استحضار الأمكنة من إشكالات يُردُّ بعضها إلى مسألة المرجعيّ والتاريخي في النصّ الشعريّ، والبعض الآخر إلى الموقف من تعبئة النصوص بذكر الأمكنة والمواقع. لكنّ ذلك لا ينفي ما تكتسبه من دلالات متنوّعة تتماثل مع الخطاب الشعريّ وتطغى على طبيعة الشعر عامّة وفي أغراض الفخر والمدح والثناء بخاصّة. فكثيراً ما ترتبط بعض الأمكنة الواقعيّة في الشعر العربي القديم بوقائع تاريخيّة فتنشأ تسجيليّة مخصوصة في ظاهرها وأبعاد حماسيّة في باطنها فأثرت المعنى الحماسيّ. ويفتضي المبحث ممّا تحديد المقصد من الحماسة ورصد الأمكنة الأعلام التي رامت تحقيقها في القصائد.

1-1- الحماسة مفهومها:

2 - أبو الطيب المتنبي: أحمد بن الحسين الجعفي الكندي الكوفي عاش بين (303هـ/915م و354هـ/965م). ولد محلة كنده بالكوفة. حظي بمكانة سامية لم تُنح مثلاً لغيره من شعراء العرب بعد الإسلام، فيوصف بأنه نادرة زمانه، وأعجوبة عصره، تنور معظم قصائده حول نفسه ومدح الملوك.

3 - ابن هانئ الأندلسي: أبو القاسم محمد بن هانئ بن سعدون الأندلسي الإفريقي عاش بين(326هـ/938م و362هـ/973م). اشتهر بمصاحبته المعز لدين الله الفاطمي والمبالغة في مدحه.

4 - حضرت عموريّة في قصائد مدحيّة لعل أشهرها التي مطلعها:

السيف أصدق أنباء من الكتب * في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب

أبو تمام، الديوان، شرح الخطيب التبريزي، تقديم محمّد عبده عزّام، دار المعارف، الطبعة الخامسة، [د.ت]، المجلّد الأول، ص40.

5 - حضرت "الحدث" في شعر أبي الطيب المتنبي في مدحيّاته في سيف الدولة الحمداني مطلعها:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم * وتأتي على قدر الكرام المكارم

أبو الطيب المتنبي، الديوان، شرح عبد الرحمان البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1986، الجزء الأول، ص94.

6 - حضرت صقلية في مواضع كثيرة من شعر ابن هانئ الأندلسي في مدح المعز لدين الله الفاطمي بعد ما يُعرف بوقعة المجاز.

لم يكن مفهوم الحماسة جديدا على المدارس النقدية العربية القديمة بل تواتر في مواقف نقدية متنوعة ونظمت فيه الكتب والمصنّفات وجمعت فيه المختارات الشعرية مثل ما اشتهر من حماسات كحماسة أبي تمام⁷ وحماسة البحتري⁸. ولرصد هذا المفهوم ننظر فيه لغة واصطلاحا.

1-1-1- الحماسة لغة:

تعود الحماسة لغويًا إلى مادة [ح،م،س]، والحماسة مصدر من حمس، و"حَمَسَ الشَّرُّ: اشْتَدَّ... وَالْحَمَاسَةُ: الْمَنَعُ وَالْمُحَارَبَةُ... وَالتَّحْمُسُ: التَّشَدُّدُ تَحْمَسَ الرَّجُلُ إِذَا تَعَاصَى... وَرَجُلٌ حَمَسٌ وَحَمِيسٌ وَأَحْمَسُ شَجَاعٌ... وَحَمَسَ الْأَمْرَ اشْتَدَّ. وَتَحَامَسَ الْقَوْمُ تَحَامَسًا وَحَمَاسًا تَشَادَوْا وَاقْتَتَلُوا. وَالْأَحْمَسُ وَالْحَمَسُ وَالتَّحْمَسُ الشَّدِيدُ وَالْأَحْمَسُ أَيْضًا الْمَتَشَدَّدُ عَلَى نَفْسِهِ فِي الدِّينِ. وَعَامَ أَحْمَسَ وَسَنَةَ حَمَسَاءَ شَدِيدَةً... وَالْحَمَسُ قَرِيشٌ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَشَدَّدُونَ فِي دِينِهِمْ وَشَجَاعَتِهِمْ فَلَا يُطَاقُونَ..."⁹

فيدور معنى مادة [ح،م،س] في لسان العرب لابن منظور على معاني الغضب والهياج والشدة والبأس. فالحماسة الشدة في الأمر والشجاعة.

1-1-2- الحماسة اصطلاحا:

اكتسبت الحماسة تنوعا في المفهوم ما جعلها موضوعا شعريًا مهمًا. فقد تواترت الحماسة في مواضع عديدة ممّا أسهم في ثراء دلالتها. فقد عدّها شارل بلاّ [Charles Pellat] في دائرة المعارف الإسلامية "أبياتا عن البسالة في الحرب" فارتبطت بالحرب بناء على اختيارات القدامى. وارتباطها بالحرب جعلها تنفتح على أبعاد نفسية فإذا هي "تحفّز نفسيّ للبذل والدفاع والوثوب والفداء كلما شعر المرء بحاجة إلى واحد من التحركات الأربعة على أن يكون تحرّكا عفويا"¹⁰ وجمعت الحماسة في مفهومها بين الارتباط بالحرب والقول المصروف شعرا فاعتبروا "الحماسة من فنون الشعر... كانت تلازم كثيرا من المواقف كالحرب أو التحريض

7 - ديوان الحماسة لأبي تمام: اختيار تُلَقِّط فيه من أشعار المقلين والمغمورين ويؤيه في أحد عشر بابا، وصدره بما قيل في الشجاعة.

8 - الحماسة للبحتري: قد يكون أخذ العنوان احتذاءً بأبيي تمام فأطلق الجزء على الكلّ، مجموعة شعرية متنوعة الأغراض والمواضيع مبرّبة في مائة وأربعة وسبعين بابا.

9 - ابن منظور، لسان العرب، الدار المتوسطة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2005، ج1، ص938-939.

10 - عبد اللطيف شرارة، أبو الطيب المتنبي، الشركة العامة للكتاب، الطبعة الأولى، تونس1988، ص64.

أو الدعوة إلى القتال وفيها يتناول الشعر الفخر والاعتداد بالنفس أو القبيلة أو يستثير
الهمم ويحمسها للحرب"¹¹

فانفتحت على كونها موضوعا شعرياً يجمع بين العواطف والمشاعر المستثارة
والاعتداد بالنفس والقبيلة. وربما زاد المفهوم أهميّة في انفتاحه على الأفكار السامية
والقيم النبيلة "في الاصطلاح اللغوي عندنا يكاد ينحصر مدلول الحماسة في الشجاعة
الحربيّة، وفي القتال من أجل فكرة سامية كالعقيدة أو الحرمة أو الشرف. وتوسّع
مدلول الكلمة في الأدب، فضم الشعر الذي ينظم في هذه الأغراض إمّا للتحريض على
القتال قبل الموقعة وإمّا لاستعراض تفاصيل الوقعة بعد النصر، استعراضاً فيه الفخر
المغالي والنخوة الشديدة"¹²

نخلص ممّا تقدّم أنّ مفهوم الحماسة تتجاوزه دراسات عدّة. غير أنّ الثابت أنّ الحماسة
قول شعريّ مصروف في تصوير الجيش عددا وعدّة وتصوير سير المعارك والقيام
بها والنتائج المترتبة عن ذلك تصويراً مشرباً بالتغنيّ بالقيم المؤهّلة للنصر منجزاً أو
مرغوباً فيه. وتزداد قيمة وأهميّة في استنفارها الهمم واستثارتها نحو القتال والجهاد.
فضلاً عن تسمية بعض كتب المختارات الشعرية المختلفة الأغراض مدحا وفخرا
ووصفا وتوصيفا بالحماسات.

إنّ مداخل الحماسة كثيرة وينفتح أغلبها على القول الشعريّ بشئى صياغاته
وخصائصه. فلئن "دار الشعر الحماسي في الجاهليّة حول وصف المعارك..."¹³ فإنّه
قد تطوّر في العصر العباسي ليدور "حول وصف تعبئة الجيوش وزحفها ووصف
الأسلحة والخيول والأساطيل والنصر وفرار العدو"¹⁴ لكنّ عنصراً لافتاً يظلّ على
أهميّة كبرى في تأسيس الحماسة يتمثّل في حضور أمكنة أعلام تشحن في ارتباطها
بوقائع تاريخيّة النصّ، فضلاً عن الأبعاد الشعريّة، بأبعاد حماسيّة متنوّعة.

2- الأمكنة الحماسيّة:

ارتبطت بعض القصائد الحماسيّة بأمكنة مخصوصة تؤسّس بعدها الحماسي
لارتباطها بأحداث ووقائع قائمة على الحرب والقوّة والبأس. وصفنا هذه الأمكنة

11 - أحمد مطلوب مصطلحات النقد العربي القديم ط1، 2001، ص115.

12 - محمّد اليعلاوي حماسة المتنبي بين الحمية الدينيّة والحمية القوميّة، مجلة الفكر، السنة23، العدد4، السنة16، ص442.

13 - - حنّا الفاخوري، الفخر والحماسة، طبعة دار المعارف، الطبعة الخامسة، 1968، ص65.

14 - نفسه، ص80

بالحماسية لانفتاحها على المعاني الحماسية وارتباطها بوقائع البطش والقوة وتوفرها على دواعي الاندفاع والبذل واستنفار النفس نحو الوثب والحمية... فتكتسب الأمكنة أبعادا حماسية تدفع المتقبل إلى التحفز للقتال.

ومن الأمكنة التي اشتهرت بها قصائد حماسية عمورية في شعر أبي تمام مادحا المعتصم والحدث في شعر أبي الطيب المتنبي مادحا سيف الدولة الحمداني وجزيرة صقلية في شعر ابن هانئ الأندلسي مادحا المعز لدين الله الفاطمي.

3- التشكل الجغرافي للأمكنة الحماسية:

اهتمت المعاجم الجغرافية بالأمكنة الأعلام فقامت بتحديداتها تحديدا جغرافيا واستدلّت عليها بأبيات شعرية متنوعة.

3-1- عمورية:

عمورية اسم أعجمي يدل على المدينة البيزنطية [Amorium]، توجد عن يمينها وشمالها قريّتا (حاجي عمر) و(حاجي حمزة). وقد حدّدها ياقوت الحموي في معجمه واستشهد على تحديدها بغزوها من قبل المعتصم بقوله "بلد في بلاد الروم غزاه المعتصم حين سمع شراة العلوية(...)" وهي التي فتحها المعتصم في سنة 223 وفتح أنقرة بسبب أسر العلوية، في قصة طويلة، وكانت من أعظم فتوح الاسلام.¹⁵ واستعان في تحديدها بمدحية أبي تمام في قوله "وقد ذكرها أبو تمام فقال:

يا يوم وقعة عمورية انصرفت * عنك المنى حفلا معسولة الحلب"¹⁶

وبنسبتها في تحديد الاسم بقوله "قيل: "سميت بعمورية بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح، عليه السلام"¹⁷ وحدّد ها جغرافيا بما ذكره بطليموس "مدينة عمورية طولها أربع وتسعون درجة، وعرضها ثمان وثلاثون درجة وست عشرة دقيقة، طالعها العقرب، بيت حياتها تسع درجات من الدلو تحت أربع عشرة درجة من السرطان، يقابلها مثلها من الجدي، بيت ملكها مثلها من الحمل، بيت عاقبتها مثلها من الميزان، وهي في الاقليم الخامس، وفي زيج أبي عون: عمورية في الاقليم الرابع، طولها ثلاث وخمسون درجة، وعرضها سبع وثلاثون درجة"¹⁸

15 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، الطبعة الثانية، بيروت، 1995، الجزء الرابع، ص158

16 - نفسه، الجزء الرابع، ص158

17 - نفسه، الجزء الرابع، ص158

18 - نفسه، الجزء الرابع، ص158

فعمورية قلعة مغلّة في القدم تاريخا ولها أهميّتها في صراع العرب والعجم.
2-3- الحدث

قلعة الحدث وتعرف بالحدث الحمراء لحمرة تربتها وتقوم على جبل يعرف بالأحيدب "تصغير الأحذب: اسم جبل مشرف على الحدث، بالثغور الرومية"¹⁹ وحدّدها ياقوت الحموي في معجمه بقوله "بُحَيْرَةُ الْحَدَثِ: قرب مرعش من أطراف بلاد الروم، أولها عند قرية تعرف بابن الشيعة، على اثني عشر ميلا من الحدث نحو ملطية ثم تمتد إلى الحدث. والحدث قلعة حصينة هناك"²⁰ فالحدث قلعة حصينة تجري مجرى الثغور لموقعها على أطراف بلاد الروم.

3-3- جزيرة صقلية

يعرّف ياقوت الحموي هذه الجزيرة قائلا "صِقْلِيَّةٌ بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء أيضا مشددة، وبعض يقول بالسين، وأكثر أهل صقْلِيَّةٍ يفتحون الصاد واللام: من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية، وهي مثلثة الشكل بين كلّ زاوية والأخرى مسيرة سبعة أيّام، وقيل دورها مسيرة خمسة عشر يوما، وإفريقية منها بين المغرب والقبلة، وبينها وبين ريو، وهي مدينة في البر الشمالي الشرقي الذي عليه مدينة قسطنطينية، مجاز يسمى الفارو في أطول جهة منها اتّساعه عرض ميلين وعليه من جهتها مدينة تسمى المسيني التي يقول فيها ابن قلاّس الإسكندري: من ذا يمسيّني على مسيّني

وهي مقابلة ريو، وبين الجزيرة وبرّ إفريقية مائة وأربعون ميلا إلى أقرب مواضع إفريقية وهو الموضع المسمّى إقليبية وهو يومان بالريح الطيبة أو أقلّ"²¹ اكتسبت صقلية أهمية من موقعها بين الدولة الفاطمية والروم ما جعلها مركز صراع دائم من أجل بسط النفوذ على البحر الأبيض المتوسط وارتبطت بوقائع وحروب كثيرة أشهرها ما يعرف بوقعة المجاز.

4- التشكّل الشعري للأمكنة الأعلام:

لم تجر الأمكنة الواقعية على العلمية والملاحج الجغرافية التي حدّدها أصحاب المعاجم اللغوية والجغرافية إنّما أكسبها الشعراء تحويلا لتناسب مقاصد النصّ الشعريّ

19 - نفسه، ج 1، ص 118.

20 - نفسه، ج 1، ص 351.

21 - نفسه، ج 3، ص 416.

وصياغاته فتصرّفوا في ملامحها وغيّروا أبعادها بالتشابه والاستعارات والمجازات والتفنّن في التصوير والمبالغة في الوصف.

وارتبطت الأمكنة بالوقائع المعنيّة في التاريخ السياسي والإسلامي من فتح وحروب... فلا يحضر المكان العلم بمعزل عن الحادثة التاريخية فعمورية قلعة ترتبط بفتح المعتصم وحربه مع الروم، والحدث قلعة ترتبط بفتح سيف الدولة الحمداني، وجزيرة صقلية ترتبط بوقعة المجاز التي حارب فيها المعزّ لدين الله الفاطمي الروم... وفي شتّى هذه الوقائع تتشكّل الأمكنة تشكّلاً شعرياً في ارتباطها بالوقائع وفي صياغتها صياغة شعرية فأقاموها منادى قائماً على المناجاة في قول أبي تمام [من البسيط]:

"يَا يَوْمَ وَقَعَةٍ عَمُورِيَّةٍ أَنْصَرَفْتُ * مِنْكَ الْمُنَى حُقْلاً مَعْسُولَةً الْحَلَبِ" ²²

وما الارتباط بالنداء إلا لقيمة هذا اليوم تعظيماً وإجلالاً. وأصل النداء أن يقتضي خطاباً ومراجعة. ولما لم يكن الشاعر يروم رجوع الصدى فإنّه قصد الإجلال والتعظيم فعامل المنادى يوم عمورية معاملة العاقل الكائن. فزاد النداء شعريّة ارتباط الأمكنة بالتشخيص. ولئن لم يكن التشخيص ظاهرة بيانية مستقلة بذاتها مثل اللغات الأخرى كالفرنسية والأنغليزية [personnification-personification] فإنّه في العربية قد ضُمّن في المجازات والتشابه والاستعارات. فلئن نبّه البلاغيون إلى التشخيص وقيّمته فإنّهم لم يسمّوه إنّما تحدثوا عن دلالاته الفنيّة وأبعاده الشعريّة دون تسمية واضحة وتباينت المواقف منه بين ممجّد ومستهجن ²³. والتشخيص إكساب المجردات والجوامد صفات وملكات متعلّقة بالإنسان وصورته.

وما يزيد من التشكّل الشعريّ للأمكنة ربطها بالواقعة تزمينا وتاريخاً بـ "يوم" ومخاطبته على التشخيص بضمير المخاطب المفرد [أنت] في فعلٍ "أَبْقَيْتَ" و "أَنْصَرَفْتُ مِنْكَ" وفي موضعين في قول أبي تمام [من البسيط]:

"أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صَعْدٍ * وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشَّرِكِ فِي صَبَبٍ" ²⁴

فارتبط النداء بتعدّد المخاطبات ما أكسب النصّ حيويّته في تفاعل لغويّ يؤسّس لنسيجه الشعريّ

22 - أبو تمام، الديوان، المجلد الأول، ص46.

23 - نوال جاسم محمّد، التشخيص في علويات الشيخ صالح الكوّاز الحلي، مجلة كلية التربية بجامعة واسط، العدد 39، ج1، ماي/آيار 2020، ص227.

24 - أبو تمام، الديوان، المجلد الأول، ص47.

*- يا يوم وقعة عمورية:

- انصرفت منك المنى...

- أبقيت المشركين في صيب...

- أبقيت جد بني الإسلام في سعد...

فالنداء والمخاطبات صاغا يوم عمورية صياغة قائمة على التشخيص، وأكسباه بعدا شعرياً يزداد تشكلاً باكتساب صفات الأخوة والأمومة التي تعلقت بالأمكنة الجامدة في قول أبي تمام [من البسيط]:

"لَمَّا رَأَتْ [أَخْتَهَا] بِالْأُمْسِ قَدْ خَرِبَتْ * * كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ"²⁵

وزاد التشخيص تأكيداً إقامة علاقة الأخوة بين المكانين [عمورية] و[أنقرة]، والأخوة معنى إنساني في إطلاقه على الجماد أمكنة أكد التشخيص.

ووصف المكان بالأم حين جعل عمورية أمّاً في قوله [من البسيط]:

"[أُمٌّ] لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَنْ تُفْتَدَى * * جَعَلُوا فِدَاءَهَا كُلَّ أُمٍّ مِنْهُمْ وَأَبٍ"²⁶

فوصف المكان بالأم تشخيص له.

وزاد التشخيص وضوحاً في نعت المكان عمورية بـ"برزة الوجه"²⁷ و"البكر"²⁸... وهي صفات أنثوية تتعلّق بالمرأة.

إنّ التشخيص بما يكتسبه من إحياءات يضفي المشاعر الإنسانية والمعاني العرفانية على الأمكنة ويرفع الحدود الفاصلة بين الجوامد والإنسانيات في عمومها.

واعتماد التشخيص بوصفه وسيلة تُقَرِّبُ المشاهد من المستقبل وتساعده على تصوّر الموصوف وبعث الحياة فيه. فالقوة في التصوير وبناء المشهد شعرياً في تصوّر المستقبل لا في نقل الأمكنة الأعلام بصفاتها وما تدور حولها من وقائع وأحداث تاريخية. فيزيدها شعريّة بإضفاء البعد الحيويّ عليها. والتشخيص ليكسب النصّ أبعاده الشعرية لا يتنزّل بصفته في ذاته بل في بناءه الفنيّ تشبيهاً ومجازاً واستعارة.

25 - نفسه، المجلد الأول، ص52.

26 - نفسه، المجلد الأول، ص47.

27 - نفسه، المجلد الأول، ص47.

وبرزة الوجه قد أعيت رياضتها كسرى * * وصدّت صدوداً عن أبي كرب

28 - نفسه، المجلد الأول، ص48

بكر فما افتزعها كفت حادثة * * ولا ترقّت إليها همّة النوب

وقد جرت الاستعارة في وصف الأمكنة الأعلام فزادتها تشكلاً شعرياً وحققت فيها بعداً حيويًا فريداً. فلم تنتزل الأمكنة الأعلام بمجرد الاسم والواقعة التاريخية فحسب بل أكسبها الشاعر بالاستعارات المتنوعة حتى يضيف عليها بعداً شعرياً.

المكان العلم	الاستعارات	البيت الشعري
عمورية	لم	"أَمْ لَهُمْ لَوْ رَجُوا أَنْ تَقْتُلِي جَعَلُوا قَدَاءَ مَا يُحِبُّ لَمْ مِنْهُمْ وَأَب"
	تافقة معسولة الحلب	"يَا يَوْمَ وَقَعَهُ غَنُورِيَّةٌ انْتَصَرَتْ مَنْكَ الثَّمَنِي خَفَلًا مَسْئُولَةَ الْحَلْب"
	برزة الوجه	"وَبِرْزَةِ الْوَجْهِ ظُ أَصْبَحَتْ رِيَاضَتُهَا مَعْرِي وَصُنْتُ صُنُودًا عَنْ أَبِي قَرْب"
	بكر	"بَكْرٌ فَمَا فَتْرَ عَيْنَهَا كَفَتْ خَاوَةً وَلَا تَرَفَّتْ إِلَيْهَا هَمَّةُ التَّوْبِ"
	أحبتها	"لَمَّا زَاثَ لَحْظُهَا بِالْأَنْسِ ظُ خَرِيَتْ فَإِنْ فَخْرَايَ لَهَا أَغْضَى مِنَ الْجَزْبِ"
	عدوى الجرب	"وَلَا الْخَفُوفُ وَقَدْ أَلَمِينَ مِنْ حَيْلٍ أَشْهَى إِلَى تَقْطِرِي مِنْ خَدَمَا الْقَرْبِ"
	لها حدود ناعمة	
الحدث	اختلاط الظلمة بالتور	"حَتَّى كُلَّ جَلَابِيْبِ الدَّجَى رَغِيَتْ عَنْ لَوْنِهَا وَتَلَّ الشَّمْسُ لَمْ تَغِيْرَ ضُيُوعٌ مِنَ النَّارِ وَالظُّلُمَاءُ عَاقِفَةٌ وِظْلُمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي صَنْحِي شَحِيْبِ فَالشَّمْسُ طَالَعَةٌ مِنْ قَا وَقَدْ أَفْلَتْ وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبْ"
	المعرفة (تعرفت لونها)	"هَلْ الْخَلَّتِ الْخُورَاءُ تَعْرِفَتْ لَوْنَهَا وَتَعْرِفَتْ أَيُّ السَّاقِيْنِ الْغَنَامِ"
	الجنون وتعلق لتنام	"وَكَاثَ بِيهَا مَثَلُ الْجُنُونِ قَاصِيْبَتْ وَمِنْ جُنَّتِ الْفَتْلَى عَلَيْهَا تَنَامِ"
	طريدة دهر	"طَرِيْدَةٌ دَهْرٍ سَلَفَتْهَا فَرَفَلَتْهَا عَلَى الدَّيْنِ بِالْخَطِيْئِ وَالْقَهْرِ رَاغَةٌ"
	الطعن أساسها ودعائمه	"وَكَيْفَ تَرْجِي الرُّوْمَ وَالرُّوْسَ هَمَمَهَا وَذَا الطَّعْنُ أَسْبَابُ لَهَا وَدَعَائِمُ"
صقلية	تفجر الصفا والجنل	"أَرْضٌ تَفْجُرُ عَنْ شَيْءٍ فَوْقَهَا يَنْمُ الْعُيُ حَتَّى الصَّفَا وَالْجَنْلُ"

فالاستعارة تظلّ سمة جوهرية وأساساً مميّزا ضمن مكونات النصّ الجماليّة. وحين ترتبط بالمكان العلم تكسبه بعده الشعريّ وتنقله من الواقع الكائن في حادثة تاريخية ارتبطت بالحروب في زمن محدّد إلى صورة شعريّة تنحو منحى جماليّاً... فالنصّ الشعريّ إن كان وسيلة تسجيليّة ومرجعا يُعتمدُ في كثير من المعاجم فإنّه يرمي إلى التخيل وإنشاء صورة في ذهن القارئ متميّزة بالتخييل... لذلك اكتسبت الأمكنة الأعلام هذه الصور فتفجّرت الحجارّة في أرض صقلية، وامتزج السواد والبياض في

الحدث التي كانت طريدة دهر فُرِدَتْ وافتكَّت وعقلت بعد جنون، وصارت عمورية ناقة ذات حليب معسول وصيغت مرأة بَزْرَةَ وَجْهِهِ وَيَكْرًا وتحمرَّ خدودها وتنعم حسنا وجمالاً...

وكان للمكان عمورية تداخل مع الفعل الحماسي الذي حقَّقه الممدوح من خلال حربه. ففي هذه الحرب صار في عمورية الصخر والخشب أدلة للنار التي أوقدها الممدوح بحربه في قول أبي تمام [من البسيط]:

"لَقَدْ تَرَكْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا" * لِلنَّارِ يَوْمًا دَلِيلَ الصَّخْرِ وَالْخَشَبِ" ²⁹

وتتفاعل عناصر النور والظلمة في تركيب استعاري يعطي عمورية مشهداً استعاريًا تتفاعل فيه الألوان تفاعلاً طريفاً في قول أبي تمام [من البسيط]:

"حَتَّى كَأَنَّ جَلَابِيبَ الدُّجَى رَغَبَتْ * عَنْ لَوْنِهَا وَكَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبْ

ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ وَالظُّلُمَاءُ عَاكِفَةٌ * وَظُلْمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضَحَى شَحْبِ

فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَفْلَتْ * وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبْ" ³⁰

فتفاعلت عناصر النور والظلمة لتكشف عن مشهد ينزاح من الشدة والعنف قتلاً وبطشاً إلى مشهد إنساني يعيد عمورية إلى دين الحق فـ "ظهور الشمس في هذا المشهد يضيف عليه بعد كونياً يصعد مشهد الحريق ليصبح جزءاً من عقاب الخالق، لأنَّ إحراق مدينة أمر غير إنساني. وهذا ما يحسن به الشاعر ويقرره بكل موضوعية. فالمشهد مرعب قبيح سمج لكن سماجته جميلة لأنها نصر للإيمان على الكفر قام به خليفة ينفذ أمر الله..." ³¹

فهذه الصور الاستعارية تجعل الأمكنة الأعلام تتجاوز حدودها الجغرافية لتشكل أبنية لغوية ترتسم في الذهن فتحقق شعريّة النصّ. وأبو تمام قد توسّل "الاستعارات الخاصة

29 - نفسه، المجلد الأول، ص53.

30 - نفسه، المجلد الأول، ص53.

31 - محي الدين صبحي، قراءة قيمية فنية في شعر أبي تمام، مجلة علامات في النقد، السعودية جدة، المجلد 5، العدد 20، دد، يونيو 1966، ص210.

بالمكان³² لما فيها من دلالات شعرية تبعث في المستقبل تأثيرا مخصوصا. وتتوسل هذه الشعرية الألوان وعناصر الكون فـ "كما تصعد الحريق حتى غدا مشهدا كونيا للصراع بين الشمس والظلام، يصعد معنى النصر والهزيمة ليغدو صراعا بين الإيمان والكفر. فهذا السمو في القيم يتلاحق موجة إثر موجة حتى يقرن في الذروة بين إرادة الله وحق الإنسان في الحياة والأمن"³³

وعلى غرار التشكيل الاستعاري الذي تلونت به الأمكنة استدعى التشكل الشعري التشبيه ليكسب هذه الأمكنة مزيدا من التخييل ويخرجها من بوتقة تحديدها الجغرافي الواقعي. فيشبه ابن هاني جزيرة صقلية بالبردة في قوله [البسيط]:

"تلك الجزيرة من ثغورك بردة * نور النبوة فوقها يتهلل"³⁴

فبالتشبيه البليغ -الذي حذف منه كل واسطة لجعل الجزيرة والبردة متماثلين- بنى في ذهن المستقبل صورة جديدة ترحل به إلى البردة رداءً للنبي عليه الصلاة والسلام أهداه إلى كعب بن زهير علامة جلمه وعفوه وباعها ورثة كعب إلى معاوية بن أبي سفيان وتوارثها الخلفاء الأمويون والعباسيون والعثمانيون يلبسونها في العيدين تبركا وتيمنا³⁵. فالشاعر يسعى إلى نقل الحدث وفق صياغة شعرية مخصوصة وتشكل الصورة الشعرية بما "هي نتيجة حتمية لكيفية تصور حدث ما وتصويره وإبرازه للوجود كتابة، وهي تنطلق من الوصف كمادة أولية، والصورة رغم أن الخيال ركيزتها فهي ذات خميرة واقعية..."³⁶

ومن علامات الواقع التي يستند إليه الشاعر المكان العلم مادة أولية وتشكيله تشكلا شعريا فريدا يجتمع فيه الوقائع والقصص الدينية والقرآنية والروح الشعرية التي يرمي إليها الشاعر.

وفي صورة استثنائية اعتمدها المتنبي في تشبيه تمثيلي في قوله [من الطويل]
نثرتهم فوق الأحيدب كله * كما نثرت فوق العروس الدراهم³⁷

32 - سرية يحيى المصري، بنية القصيدة عند أبي تمام، مجلة فصول، القاهرة، المجلد 7-د، العدد 1-2، أكتوبر 1986- مارس 1987، ص 295.

33 - نفسه، ص 211.

34 - ابن هاني، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1980، ص 289.

35 - محمد علي الصباح، كعب بن زهير حياته وشعره، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1990، ص 50.

36 - مصطفى المدايني، الفن الشعري عند ابن هاني الأندلسي، مجلة الحياة الثقافية، السنة 4، العدد 5، سبتمبر/أكتوبر، 1979.

37 - أبو الطيب المتنبي، الديوان، الجزء الرابع، ص 104.

فأسس في تشبيه تمثيلي تماثل جنث القتلى على جبل الأحيدب³⁸ حيث قلعة الحدث والدرهم فوق العروس. فكانت صورة تتجاوز حدود المكان الجغرافية لتتشكل من خلال تشبيه تمثيلي صورة شعرية تكشف عن أنّ الشاعر لا يُعنى بنقل الأمكنة الأعلام بصفاتها توّفق لوقائع بل يبعثها في صياغة شعرية فريدة.

5- البعد الحماسي للأمكنة:

نهضت الأمكنة الأعلام فضلا عن الشعرية بأبعاد حماسية متنوعة تجلّت من خلال جملة عناصر متنوعة. كثيرا ما ترتبط هذه الأمكنة بوقائع تاريخية تبعث بها حماسيتها. وتفتح على أبعاد قدسية كالفتح والجهاد وترتبط بمستويات عروبية قومية.

1-5- الارتباط بوقائع تاريخية:

ترتبط الأمكنة الأعلام بمواقع تمكّنت من وجدان المتقبّل فتجعله متحمّزا متحمّسا ينشد إلى هذه الأحداث وأخذت الأمكنة بهذا الارتباط من وجدانه مأخذ مهمة. فالمكان صار معروفا بما نسب إليه من وقائع كـ "يوم عمورية" و "يوم أرشق"... وهذا التزمين بالأمكنة الأعلام لوقائع مهمة من التاريخ يجعل للمكان بعدا حماسيا فريدا. فقلّما أن تجد قصيدة حماسية خالية من الوقائع التاريخية. وضروري أن ترتبط هذه الوقائع التاريخية بأماكن أعلام. فقلعة الحدث اشتهرت بحرب سيف الدولة الحمداني مع الروم واستردادها بالخطي والسيوف. "فمن أهم المعارك التي جرت بين سيف الدولة والروم معركة خرشنة ومعركة الحدث الحمراء ومعركة الدرب... وقد سجلها المتنبي في شعره أروع تسجيل"³⁹

والوقائع تبعث في المتقبّل الحماسة وتلهب الأمكنة الأعلام مدارّ الوقائع القلوب. والشاعر من خلالها يسعى إلى تحريك المشاعر والتعبئة الحماسية.

وارتبطت قلعة عمورية بفتح المعتصم وردّها إلى الإسلام. فـ "لما انتهى المعتصم من أمر بابك سار إلى بلاد الروم قاصدا أراضي الدولة البيزنطية ليضربها ضربة قاصمة... وقد اختار المعتصم مدينة عمورية هدفا أساسيا لهذه الغزوة لأنّ عمورية في ذلك الوقت كانت من أهم مدن الروم في آسيا الوسطى... فتحرّك في جيش صخم جرّار... وكان ذلك في جمادى الأولى سنة 223 هجرية (838م)... أقام المعتصم على

38 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، الجزء الأول، ص118.

"الأحيدب: تصغير الأحذب: اسم جبل مشرف على الحدث"

39 - طه حسين، مع المتنبي، دار المعارف، مصر، [د.ت.]، ص166.

نهر سيحان، وأمر المعتصم الأفشين أن يدخل الروم عن طريق طرسوس، وحدد لهما يوماً يلتقيان فيه عند أنقرة... ودخل المسلمون أنقرة وأحرقوها... وواصل الجيش الإسلامي تقدّمه حتى وصل عمورية وكان المعتصم على قلب الجيش... ووصل عمورية فحضر عليها الحصار... ولم تستطع المدينة أن تصمد طويلاً فقد حاصروا المدينة وكان مصيرها الإحراق والتدمير... كان لفتح عمورية أثر عظيم بما قوي من معنويات المسلمين وما أضعف من معنويات الروم"⁴⁰

والحروب لها وقعها في القلوب وحين ترتبط هذه الحروب بأمكنة أعلام تظلّ كامنة في وجدان المتلقّي الذي تشدّه أحاديث النصر. فالأمكنة الأعلام في ارتباطها بوقائع النصر تتنوّي تحت الحديث المثير والتشويق للإطلاع على السير والوقائع وأخبار الحروب والبطولات. فيضحي المكان العلم في ارتباطه بوقائع الحرب والنصر والبطولة باعثاً للحماسة بما تعبّر به عن الفخار والإعجاب وإثارة الدهشة.

وارتبطت جزيرة صقلية بوقعة المجاز التي استطاع أن يحقق فيها المعزّ نصره المبين على الروم. فـ"كانت صقلية مركز صراع بين المسلمين والروم، وكان حكمها في عهد الفاطميين لعمّالها من الأسرة الكلبيّة. واستعان مسيحيو تلك الجزيرة في محاربة المسلمين بأباطرة الدولة البيزنطية الذين كانوا يناصرون العباسيين في المشرق والفاطميين في صقلية العداء... ومن أخطر الوقائع في صقلية زمنئذ موقعة رمطة فإنّ الفاطميين حاصروا تلك المدينة في رجب 352هـ"⁴¹ وأنجد الإمبراطور نفقوز فوقاس [352هـ-359هـ] بأسطول ضخم قاده منويل "ودارت معركة خطيرة قرب رمطة وفوجئ الروم بثبات الحسن بن عمّار الكلبيّ الذي تعزّز بجيوش الفاطميين وقُتل القائد منويل... وما كاد أحمد بن الحسن الكلبيّ (ابن عم الحسن بن عمّار) يعلم بهزيمة الروم في رمطة حتى لحق بهم وانتصر عليهم في موقعة المجاز سنة 345هـ. وفي هذه الموقعة خسر الروم أسطولهم"⁴²

فكان فتح صقلية -أو ما يعرف بوقعة المجاز لأنّ الفاطميين قد تجاوزوا فيها البحر- قصّة نافحة بالبطولة صحبتها مبالغات في التعبير بالأمكنة الأعلام عن المعاني

40 -إيناس البهيجي، تاريخ الدولة العباسية، مركز الكتاب الأكاديمي، الطبعة الأولى، 2017، الجزء الثاني، ص93.

41 - حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964، ص143.

42 - نفسه، ص153.

والصور حتى صارت علامة مضيئة في عطف القلوب على المآثر وتمجيد البطولات
الحربية واستثارة الحمية وتحريك الهمم.
وارتباط الأمكنة الأعلام بوقائع تاريخية تحقق النصر تجعلها محققة أبعادا حماسية
موقظة روح الحمية في النفوس. فضلا عما تثيره من أبعاد قدسية.
5-2- القداسة:

يُقصد بالقداسة الطهر والبركة وتنزيه الشيء المقدس عما لا يليق به. فالقداسة
ضدّ الدنس وتقوم على الإجلال والتعظيم وليس أكثر في الحماسة من الترميز بالعقيدة
والسيادة الكونية والتوسل بمرموزات دينية. من هذا الجانب قد اكتسبت الأمكنة الأعلام
في ارتباطها بوقائع الحروب والبطولات بعدا قدسيا. إذ أنّ مجرد وصف المكان العلم
بالفتح والنصر والرفعة ما يجعله يصل إلى مرتبة التقديس.
فيرتبط المكان بالواقعة ويسهم في الرفع من شأن الإسلام والمسلمين في مقابل
انحطاط الروم مثلما يتجلّى في قول أبي تمام [من البسيط]:

"أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صَعْدٍ * وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشَّرِكِ فِي صَبَبٍ"⁴³

فمخاطبة المكان المرتبط بواقعة نصر تاريخي [يوم عمورية] واعتباره مميزا رافعا
الإسلام والمسلمين حاطا من شأن الشرك والمشركين فيها إجلال وتقديس. ويبعث
الحمية في نفوس المتقبلين ويبعثهم على مزيد الوثب والتحفيز. وهو ما كشف عن
"حرص أبي تمام وقدرته على التعامل مع المادة التاريخية التي تزيد من توثيق
مادته الفنية الجديدة. وكان على قدر واضح من الذكاء في اختيار المادة الإسلامية
التي ترددت في كثير من ألفاظه وصوره"⁴⁴.

فالدافع الديني والواعز الإسلامي حين يرتبطان بالمكان العلم يجعلاه منفتحا على قدسية
تدفع نحو الحمية والتعصب.
وتزداد القداسة وضوحا في تشبيه ابن هانئ لجزيرة صقلية بالبردة في قوله [من
البسيط]:

"تِلْكَ الْجَزِيرَةُ مِنْ نُغُورِكَ بُرْدَةٌ * نُورُ النُّبُوَّةِ فَوْقَهَا يَتَهَلَّلُ"⁴⁵

43 - أبو تمام، الديوان، المجلد الأول، ص47

44 - عبد الله النطاوي، القصيدة العباسية قضايا واتجاهات، مكتب غريب، [د.ت]، ص152-155

45 - ابن هانئ، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1980.

فشبه الجزيرة بالبردة التي ألقاها النبي صلى الله عليه وسلم على كعب بن زهير حين عفا عنه. فاكتمت الجزيرة بهذه الحادثة بعدا قدسياً. ويظل الحديث عنها دافعا إلى الحماس الفياض والرغبة في القتال واستنفار القلوب للجهاد. وكان لوقعة الحدث أثرها بأن جعلها أبو الطيب المتنبي رمزا لنصر الإسلام والتوحيد على الشرك في قوله [من الطويل]:

وَأَسْتَمَلِيكَ هَازِمًا لِنَظِيرِهِ *** وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ لِلشَّرِكِ هَازِمٌ⁴⁶

فاستثار الشاعر قيما دينية قريبة من قلوب السامعين ليستثير حميتهم الدينية. "فإذا قرأت وصف المتنبي لهذا الجهاد وجدت فيه نارا تضطرم، ولا تكاد تمس قلبك حتى تشيع فيه، وإذا قلبك يضطرم أيضا حماسة ونشاطا. ومصدر هذا أن المتنبي في هذا الوصف... إنما هو يصدر عن هذا ويصدر معه عما كان يثور في نفسه من العواطف. وما كان يدور في رأسه من الخواطر حين كان يشهد الموقعة... وكان يصدر مع هذا وذلك عن انفعالات المسلمين التي كانت تثور حوله أثناء الاستعداد للحرب وأثناء الاشتراك في المعركة وبعد الانتصار أو الفرار"⁴⁷

وكان لأبي الطيب المتنبي وابن هانئ الأندلسي في ممدوحيهما سيف الدولة الحمداني والمعز لدين الله الفاطمي رمزان مهمان في الذود عن الحرمات ف"لما كان الممدوحان الرئيسيان عند هذا وذاك (سيف الدولة والمعز) من الملوك الغزاة المدافعين عن بيضة الإسلام ضد أعدائه الروم المسيحيين فلا غزو أن اتفقا في وضع هذه الحروب التي يخوضها سيف الدولة على تخوم الشام ضد نقفور فقا. وينظمها المعز في صقلية جنوب إيطاليا حتى يستبقي للإسلام السيطرة على البحر المتوسط في إطار الجهاد المقدس في سبيل العقيدة"⁴⁸

وهذا الترميز القدسي يدفع إلى الحماسة التي تقوم على الاندفاع إلى القتال من أجل قيم سامية. "فيثور أو هو يتحمس في الواقع للدفاع عما يحسبه مقدسا، وهو رأيه في نفسه وشعره ومقامه وسائر ما يتصل بشخصه"⁴⁹

46 - أبو الطيب المتنبي، الديوان، ج4، ص107.

47 - طه حسين، مع المتنبي، دار المعارف، مصر، [د.ت]، ص174.

48 - محمد اليعلاوي، متنبي الشرق ومتنبي الغرب، مجلة الحياة الثقافية، العدد 02، السنة الأولى، 1975، ص33.

49 - عبد اللطيف شرارة، أبو الطيب المتنبي، ص65.

فالأمكنة الأعلام مجال رحب لما تكتسبه من قداسة تدفع إلى إضفاء الحماسة بتمجيد الأبطال ووصف الحرب فتتوقّد نار الحميّة والاندفاع يستثيران الإعجاب بالأبطال المظفّرين ويستنفر الغيرة على القيم الرفيعة والنضال من أجلها والتغني بأمجادها شعورا بالفخر والاعتزاز.

3-5- البعد القومي:

يكتسب المكان العلم دلالاته من خلال الحروب والوقائع. ويستدعي الشاعر في تصويرها معاني متعدّدة يستنفر من خلالها قيم العروبة وروح العصبية أن يجعل المتنبي من وقعة الحدث شرف كل من انتسب إلى عدنان في قوله [من الطويل]:

"تَشْرَفُ عَدْنَانُ بِهِ لَا رَبِيعَةً * وَتَفْتَحِرُ بِهِ الدُّنْيَا لَا الْعَوَاصِمُ"⁵⁰

فيتشكّل فخار بالانتماء حققه النصر في هذه الواقعة المرتبطة بمكان علم مخصوص. فيضحي الوعي بالانتماء مستنفرا قيم البطولة في نفس حماسي يرمي إلى التحفيز والوثوب والفداء والتضحية وتصبح الأمكنة الأعلام مشبعة بالتعبير عن حميّة المشاعر والتعبئة الحماسية.

خاتمة:

مثّلت الأمكنة الأعلام في الشعر العربيّ القديم علامة بارزة. فقلّما تجد قصيدا خاليا من هذه الأمكنة. ولئن اختلفت القراءات والرؤى النقدية بين ممجّد ورافض فإنّ لهذه الأمكنة أبعادا متنوّعة اقتضاها المعنى والغرض. ومن هذه الأبعاد ما كان شعريّا محضا يتشكّل بالتشابه والمجازات والاستعارات، ومنها ما كان ذا وظائف معنويّة تقتضيها روح القصيدة وغرضها العام. فتنشكّل أبعاد حماسية تستثير الحميّة وتستنفر العصبية الدينية والقومية. فيصبح للأمكنة الأعلام في ارتباطها بالوقائع التاريخية تذكير دائم بوقائع ملهمة للنصر فضلا عمّا تبعته من قداسة التقابل بين إعلاء راية دين الإسلام والتوحيد على حساب صوتي الشرك والمشرّكين. وكلّما زاد البعد القدسيّ كلّما كان للأمكنة الأعلام فيه دور ووظيفة. فالمكان العلم بما حمله من وقائع تاريخيّة وما أضفاه من بعد قدسيّ يشكّل مظهرا للدفاع عن العقيدة يبعث في النفوس الإصرار والاندفاع والوثوب. ويتعدّى البعد الدينيّ إلى بعد قوميّ عروبيّ يتجلّى فيه النصر على الأعداء الروم والعجم وإعلاء شرف الأمّة من عرب وعدنانيين...

50 - أبو الطيب المتنبي، الديوان، ج4، ص107.

فالأمكنة الأعلام بفضل ما حملته من ارتباط بوقائع وما حملته من أبعاد قدسيّة دينيّة وعروبيّة قوميّة ترمي إلى تأسيس الحماسة في النص الشعريّ فترفع من شأن الممدوح وتبعث الحميّة في نفوس المتقبّلين. وتستنتفر عصبيّتهم للوثوب والقتال والفداء... إنّ الأمكنة الأعلام في الشعر العربيّ تتحو في النصّ منحى شعريّ يتجاوز قوانين التحديد الجغرافيّ لتتشكّل بصفقتها معنى شعريّاً خالصاً يروم إضفاء الحماسة على النصّ ليناسب مدح الخلفاء والأمراء أجواء الحرب والصدام.

المصادر والمراجع:

*- المصادر:

- أبو تَمّام، الديوان، شرح الخطيب التبريزي، تقديم محمّد عبده عزّام، دار المعرف، الطبعة الخامسة، [د.ت].
- أبو الطيب المتنبي، الديوان، شرح عبد الرحمان البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1986.
- ابن هانئ، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1980.

*- المراجع:

- البهيجي (إيناس)، تاريخ الدولة العبّاسيّة، مركز الكتاب الأكاديمي، الطبعة الأولى، 2017
- جاسم محمّد (نوال)، التشخيص في علويات الشيخ صالح الكوّاز الحلي، مجلة كلية التربية بجامعة واسط، العدد 39، ج 1، ماي/آيار 2020، ص 227.
- حسن (حسن ابراهيم)، تاريخ الدولة الفاطميّة، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، 1964.
- الحموي (ياقوت)، معجم البلدان، دار صادر، الطبعة الثانية، بيروت، 1995.
- شرارة (عبد اللطيف)، أبو الطيب المتنبي، الشركة العامّة للكتاب، الطبعة الأولى، تونس 1988
- الصبّاح (محمد علي)، كعب بن زهير حياته وشعره، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1990
- صبحي (محي الدين)، قراءة قيميّة فنية في شعر أبي تَمّام، مجلة علامات في النقد، السعودية جدّة، المجلد 5، العدد 20، يونيو 1966
- الفاخوري (حنا)، الفخر والحماسة، طبعة دار المعارف، الطبعة الخامسة، 1968.
- المدايني (مصطفى)، الفنّ الشعريّ عند ابن هانئ الأندلسي، مجلة الحياة الثقافيّة، السنة 4، العدد 5، سبتمبر/أكتوبر، 1979.

- المصري (يسريّة يحي)، بنية القصيدة عند أبيي تَمَام، مجلّة فصول، القاهرة،
المجلد-07، العدد-1-2، أكتوبر 1986-مارس 1987، ص 295.
- مطلوب (أحمد)، مصطلحات النقد العربي القديم ط1، 2001
- ابن منظور، لسان العرب، الدار المتوسطة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2005
- النطاوي (عبد الله)، القصيدة العباسيّة قضايا واتجاهات، مكتب غريب
- اليعلاوي (محمد)، حماسة المتنبي بين الحمية الدينيّة والحمية القوميّة، مجلة الفكر،
السنة 23، العدد 04، السنة 16، ص 442-466.
- اليعلاوي (محمد)، متنبى الشرق ومتنبى الغرب، مجلة الحياة الثقافيّة، العدد 02،
السنة الأولى، 1975، ص 33-55.